الفصل الخامس

الخزرج والحياة العلمية بالمدينة

١- دور قبيلة الخزرج الحضاري في الدولة الإسلامية.

٢- الصحابة الخزرجيون في الأقاليم المفتوحة.

١- دور قبيلة الخزرج الحضاري في الدولة الإسلامية

لقد كان الوحي يتنزل على الرسول ﷺ وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة؛ مما دعاه إلى اتخاذ كُتَّاب للوحي من أجلَّاء الصحابة، وبلغ عدد هؤلاء الكتاب ثلاثًا وعشرين كاتبًا في قول، وقيل أربعين في قول ثانٍ، وعدهم الحافظ العراقي اثنين وأربعين في رأي ثالث[١]، وقد كان أكثرهم من الخزرجيين؛ كثابت بن قيس الخزرجي، وهو الذي كتب كتاب رسول الله ﷺ لوفد بني ثُمَالَة والْحُدَّان في الصدقات[٢].

وقد كان أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال عنه: "أقرأ أُمَّتِي أبي بن كعب"، وهو أحد فُقهاء الصحابة[٣]، وقال له رسول الله ﷺ: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٤] فجعل أبي يبكي[٥]، وقد قال أبو عبيد[٦] - تعليقًا على هذا الحديث: "معنى هذا الحديث أن يتعلم أبي قراءة رسول الله ﷺ، لا أن رسول الله ﷺ يتعلم

---

(١) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ١، ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ١، ص ٣٠٤.

(٣) نفسه، ج ٣، ص ٤٦٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٧٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ١٦؛ القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ١، ص ٤٣٧.

(٤) سورة البينة:١.

(٥) أبو عُبيد القاسم بن سلام البغدادي: فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي، مطبعة فضالة، المغرب، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١٨٩؛ أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي: أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٤٣٦، ٤٣٧؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص ٤٥٤.

(٦) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام، الإمام الكبير صاحب التصانيف في القراءات والحديث (توفي سنة ٢٢٤هـ)، الذهبي: المصدر السابق، ج١٠، ص ٤٩٠.

قراءة أبي"[١]، وقد كان أبيّ بن كعب هو الذي كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى ملكي عمان ابني الجلندي، وأرسله مع عمرو بن العاص فأسلما على أثره[٢].

وكان زيد بن ثابت الخزرجي من أهم من كتب الوحي لرسول الله ﷺ؛ فقد كان حَبْر الأُمَّة علمًا وفقهًا وفرائض، قال عنه رسول الله ﷺ: "أفرض أمتي زيد بن ثابت"[٣]، فأخذ الشافعي بقوله في الفرائض؛ عملًا بهذا الحديث، كذلك بنى الإمام مالك مذهبه في الفرائض على قول زيد[٤]، ولقد كلفه رسول الله ﷺ بتعلم كتاب يهود فتعلمه في سبعة عشر يومًا[٥]، وقال عنه الإمام الزُّهْرِي: "لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض، لرأيت أنها ستذهب من الناس"[٦]، وقد كان الرسول ﷺ يُكلف بعض الصحابة بتعليم القرآن؛ فقد كلف عبادة بن الصامت الخزرجي بتعليم أهل الصُّفَّة[٧] في المسجد النبوي[٨].

جمع القرآن:

بعد أن توفي رسول الله ﷺ وبدأت حروب الردة في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثر شهداء المسلمين من حفظة القرآن، وخاصة في موقعة اليمامة، فاقترح عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع القرآن؛ مخافة أن يذهب، فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بأن يتتبع القرآن ويجمعه[٩].

---

(١) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، ص ٥٥.
(٢) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ١، ص ٤٣٥.
(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٢٢.
(٤) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢٨٠.
(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٣٠٩؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٣٥، ص ٤٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٤٢٩.
(٦) نفسه، ج ٢، ص ٤٣٦.
(٧) أهل الصفة: هم ضعفاء الحال من فقراء المسلمين، ليس لهم عشائر ولا منازل ولا مال، وكانوا يأوون إلى المسجد وفيه ينامون، وكان ﷺ يعتني بأمرهم؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١٠، ص ١٥٧.
(٨) الكتاني، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٣.
(٩) الذهبي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣١؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٢٣.

يقول زيد: "فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب[١] واللِّخَاف[٢] وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأوسي، لم أجدها مع أحد غيره"[٣]. وروى أبو جعفر الرَّازي عن الربيع، عن أبي العالية، أن أُبيّ بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت[٤]، وقد عُدَّ زيد من أفقه المسلمين؛ حتى إن الإمام شمس الدين الذهبي قال: "النَّاس على قراءة زيد، وعلى فرض زيد"[٥].

على أن نسخة المصحف التي احتفظ بها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتبها مجموعة من الصحابة، فعن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: "إنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون ويُملِي عليهم أبي بن كعب[٦]"، وقد كان لأبي بن كعب مصحفه الخاص الذي كتبه في حياة النبي ﷺ، وكان عدد آياته ستة آلاف ومائتين وعشر آيات[٧].

نسخ المصاحف:

اختلف الناس في القراءة زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاتفق رأيه ورأي الصحابة على أن يُرد القرآن إلى حرف واحد، ووقع اختياره على حرف زيد بن ثابت، فأمره أن يُملي المصحف على قوم من قريش جمعهم إليه، فكتبوه على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس، والأخبار بذلك مُتواتِرة المعنى[٨]. على أن هناك رواية لابن سعد الزهري عن محمد بن سيرين، جاء فيها: "أن عثمان جمع اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن

---

(١) **العُسُب:** جريد النخل المستقيم؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج ١، ص ٣٤٢، مادة: عسب.

(٢) **اللخاف:** حجارة بيضاء رقيقة، مادة: لخف؛ المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٣) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ١٨٣ (حديث رقم: ٤٩٨٩).

(٤) ابن كثير: فضائل القرآن، ص ٦٢؛ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م، ج ١، ص ٢٥٦.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٦) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٣٥، ص ١٤٩.

(٧) محمد بن إسحق النديم: الفهرست، ج ١، ص ٢٩، ٣٠.

(٨) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٢٢.

ثابت في جمع القرآن[١]"، في حين أن الزركشي أورد ما نصه: "واختلف في الحرف الذي كتب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليه المصحف، فقيل: حرف زيد بن ثابت، وقيل: حرف أبي بن كعب". ومعنى حرف زيد، أي: قراءته وطريقته[٢].

على أن الرأي القائل باشتراك أبيّ بن كعب في نسخ المصاحف في عهد عثمان يظهر ضعفه؛ لأن أغلب المصادر أشارت إلى وفاة أبيّ في خلافة عمر بن الخطاب، فقد قال ابن أبي خيثمة[٣] سمعت يحيى بن معين[٤] يقول: "مات أبي بن كعب سنة عشرين أو تسع عشرة"[٥]، وقال الواقدي: ورأيت آل أبيّ وأصحابنا يقولون مات سنة اثنتين وعشرين[٦]، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم مات أبي: "اليوم مات سيد المسلمين"[٧]؛ أما الرأي القائل بوفاته سنة ثلاثين، فيعلق عليه الإمام الذهبي قائلًا: "إن إسناد هذا الرأي قويّ؛ لكنه مُرسل، وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أُبيًّا، ولو كان كذلك لاشتهر، ولكان الذكر لأبيّ لا لزيد، ومن هنا يتأكد لنا أن وفاة أبيّ كانت في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"[٨].

***

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٣، ص ٤٦٦.

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٦٥.

(٣) ابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ): أحمد بن زهير بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي، مؤرخ، من حفاظ الحديث، من تصانيفه (التاريخ الكبير)؛ الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ١٢٨.

(٤) يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المُرِّيّ الغطفاني، إمام، ثقة، مأمون؛ نفسه، ج٨، ص ١٧٢.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ١٦.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٠٠؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٦١.

(٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٨) الذهبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٠.

٢- دور الصحابة الخزرجيين في العلوم المختلفة

صاحب قيام الدولة الإسلامية في المدينة وتأسيس النظام السياسي بها نهضة علمية عظيمة، واكبت انتشار الإسلام؛ ذلك أنه كان لابد لهذا الدين من مفكرين وعلماء ومُنظِّرين، يفقهون الناس في أمور دينهم، ويَعْبُرُون بهم من شرك الجاهلية وإغراقها في الخرافة، إلى نور الإسلام واتحاده بالعلم، وقد كانت المدينة المنورة بالحجاز هي المركز الأول للإشعاع الفكري والحضاري للإسلام؛ على اعتبار أنها المدينة التي استقبلت الرسول ﷺ مهاجرًا، ثم كانت المقاتل الأول لنشر الدين في شبه الجزيرة العربية.

وقد نشأت بالمدينة مدرسة علمية عظيمة، كانت بمثابة مدرسة جامعة، عنى رجالها وأساتذتها ومفكروها وأقطابها من الصحابة عناية فائقة بالتجويد والتفسير والحديث والفتوى، ثم تلا ذلك نشأة علوم جديدة نالت اهتمام مدرسة المدينة؛ كان أهمها علم التاريخ والمغازي، ولقد كان لصحابة قبيلة الخزرج دور مهم في هذه الحركة العلمية بالمدينة، خاصة وأنهم قد عاصروا الرسول ﷺ، ونقلوا حديثه إلى الأمة من بعده؛ كما كان لهم دور في علمي التجويد والتفسير.

دور الصحابة الخزرجيين في علم القراءات[(١)]:

اهتمت الخزرج بحفظ القرآن الكريم، وكان لهم دور عظيم في نشره، وفي الاهتمام به وتعليمه لعامة المسلمين، خاصة وأن لهم باعًا في حفظ القرآن في عهد رسول الله ﷺ، فقد روي عن أنس بن مالك أنه قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فعدت الأوس مآثرها، فردت الخزرج قائلةً: "منا أربعة جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ لم يجمعه

(١) **القراءات** لغة: جمع قراءة، وقراءة مصدر قرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآنًا، بمعنى تلا، فهو قارئ، والقرآن متلو؛ (الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٢)؛ في حين أن التهانوي يقول: "فالقراءة عند القراء أن يقرأ القرآن سواء أكانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعًا أو أداء بأن يأخذ من المشايخ"؛ (محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المكتبة الإسلامية، بيروت، الجمهورية اللبنانية، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م، ج٥، ص ١١٥٨).

غيرهم: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عُمُومتي"(١)، وفي رواية أخرى للبخاري يضيف أنس: أبو الدرداء عُويمر بن مالك بن قيس بن أمية الخزرجي(٢)، الذي قال عنه رسول الله ﷺ: "حكيم أمتي أبو الدرداء عُويمر"(٣)، وقال عنه أيضًا: "نِعْمَ الفارس عُويمر"(٤)، وقال عنه ابن الجزري: كان من العلماء الحكماء، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بلا خلاف(٥).

ولقد ورد كذلك عن رسول الله ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: "استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ"(٦)؛ فهؤلاء من أهم من حفظ القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخذ عنهم علم التجويد، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة؛ كما كان بعض الصحابة الخزرجيين من الأئمة الذين قام عليهم علم القراءات.

وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام – في أول كتابه في القراءات – من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم، وذكر منهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبا الدَّرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، وأنس بن مالك، وهم من

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ١٨٧ (حديث رقم ٥٠٠٣)؛ ابن كثير: فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م، ص ١٥٧؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٢) البخاري، المصدر السابق، ج٦، ص ١٨٨ (حديث رقم ٥٠٠٤).

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ١٢٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٦، ص ٩٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٣٨.

(٥) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٩٨.

(٦) البخاري، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٦ (حديث رقم ٣٨٠٨) ؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٢٧٢ (حديث رقم ٥٠٦٤)؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار، تحقيق: د/ طيار آلتي قولاج، إستانبول، تركيا، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ج ١، ص ١١٣؛ السيوطي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٥٨.

الخزرج، ومُجَمِّع بن جارية الأوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[١]، والقراءة - كما قال زيد بن ثابت: "سُنَّة يأخذها الآخر عن الأول"[٢].

أما الإمام الذهبي فقد ذكر أسماء من دار عليهم علم القراءات، فعدهم سبعة؛ هم: عثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ثم عَدَّ ثلاثة من الخزرج هم: أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ثم قال بعد ذكرهم ما يلي: "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخذ عنهم عرضًا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة؛ كمعاذ بن جبل وأبي زيد، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم؛ فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[٣].

والإسناد في هذه القراءات هو في أعلى درجات الإسناد، وهو متواتر لا ريب في تواتره، والقراءة التي تفتقد التواتر لا تُقبل؛ لأن غير المتواتر لا يكون قرآنًا، وبسبب هذا احتفى علماء القراءات بالإسناد احتفاءً بالغًا، وكان كل عالم من علماء القراءات ينص على الأسانيد وطرقها المتعددة إلى عصره.

ولقد عد علماء القراءة ورجالها أن أسانيد القراءات المعتبرة انتهت إلى عشرة أسانيد، هذه الأسانيد العشرة منها سبعة ترجع في سندها المباشر إلى صحابة خزرجيين، وهي - في الغالب - أشهر القراءات التي قرئ بها كتاب الله تعالى، فتعود ست قراءات من السبع المعتبرة إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وهي قراءة نافع[٤]، وابن كثير المكي[٥]،

(١) الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (الشهير بابن الجزري): النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٦.

(٢) نفسه، ص ٤٠.

(٣) معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٤) نافع: هو أبو رويم، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي، حبر القرآن، كان أحد أئمة القراءة في عصره، قال عنه الإمام مالك: "قراءة نافع سُنَّه"، وقال أيضًا: "نافع إمام الناس في القراءة" (ت ١٦٩هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٣٣٦.

(٥) ابن كثير المكي: هو عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله بن زاذان، الإمام، العلم، مقرئ مكة وإمامها، وأحد القراء السبعة (ت ١٢٠هـ)؛ نفسه، ج ١، ص ١٩٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١١٥.

وأبي عمرو بن العلاء[١]، وعاصم الكوفي[٢]، وأبي جعفر المدني[٣]، والكسائي[٤]؛ في حين أن قراءة عبد الله بن عامر الشامي ترجع إلى أبي الدرداء عويمر بن عامر[٥].

وليس أدل على دور الصحابة الخزرجيين في تعليم القرآن من هذه الرواية التي أوردها الذهبي في سير أعلام النبلاء، وملخصها: أن يزيد بن أبي سفيان كتب إلى عمر بن الخطاب قائلًا: "إن أهل الشام قد كثروا، وملأوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم، فأعني برجال يعلمونهم"، فدعا عمر معاذ بن جبل، وعبادة بن الصَّامت، وعويمر أبا الدَّرداء، وأرسلهم إلى الشام؛ فكان للصحابة الثلاثة نصيب وافر في تعليم أهل الشام؛ أما معاذ بن جبل (ت ١٨هـ)، فعلم أهل فلسطين القرآن، وأما عبادة بن الصامت (ت ٣٤هـ)، فعلم أهل حمص القرآن، وأما الصحابي الجليل أبو الدرداء (ت ٣٢هـ)، فعلَّم أهل دمشق القرآن، وكان له الفضل في تعليم أهل الشام جميعه القرآن، وكانت حلقته أكبر الحلقات بمسجد دمشق[٦].

---

(١) أبو عمرو بن العلاء البصري: هو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان المزني البصري، قال عنه الإمام ابن الجزري: "كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والأمانة والدين"، وكان إمام البصرة ومقرئها (ت ١٥٤هـ)؛ ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ١٣٤.

(٢) عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود، من التابعين، قال عنه ابن الجزري: "كان عاصم هو الإمام الذي انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة، ورحل الناس إليه للقراءة، وكان قد جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن" (ت ١٢٧هـ)؛ نفسه، ج ١، ص ١٤٤.

(٣) أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، أحد القراء العشرة، ومن التابعين (ت ١٣٢هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٧٢؛ ابن الجزري، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٧.

(٤) الكسائي الكوفي: هو عليّ بن حمزة بن عبد الله بن عثمان النحوي، الملقب بالكسائي (ت ١٨٩هـ)؛ الذهبي، المصدر السابق، ج٩، ص ١٣١؛ ابن الجزري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٢؛ الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٥) عبد الله بن عامر الشامي: هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن ربيعة اليحصبي، كان إمام أهل الشام، قال عنه ابن الجزري: "كان ابن عامر إمامًا كبيرًا وتابعيًّا جليلًا وعالمًا شهيرًا، أَمَّ المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز، فكان يأتم به وهو أمير المؤمنين" (ت ١١٨هـ)؛ ابن الجزري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٤.

(٦) نبيل محمد إبراهيم: علم القراءات، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٢٣٧ - ٣٤٤.

وعن مسلم بن مشكم الدمشقي – كاتب أبو الدرداء: "قال لي أبو الدرداء أعدد من يقرأ عندي القرآن فعددتهم ألفًا وستمائة ونيفًا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائمًا، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقرأ عليه"(١).

وكان الصحابة الثلاثة – وخاصة أبو الدرداء – سببًا في نشأة مدرسة الشام في القراءات، وقد خلفهم التابعون وتابعوهم بالشام، فألفوا ونقحوا وشرحوا، ونظموا كتبًا شتى في القراءات القرآنية، وازدهرت مدرسة الشام، وكان لها إنتاجها العلمي الوفير في علم القراءات.

دور الصحابة الخزرجيين في تفسير القرآن:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فخاطب الله به العرب الفصحاء، ففهموا منه مراد الله سبحانه وتعالى؛ كما بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للصحابة ما أُشكل عليهم من ألفاظ القرآن الكريم؛ ومن هنا قال الحاكم في مستدركه: "ليعلم طالب الحديث، أن تفسير الصحابي الذى شهد الوحى والتنزيل – عند الشيخين – حديث مسند"(٢)؛ أي أن له حكم المرفوع عن رسول الله فكأنه رواه عن النبى – صلى الله عليه وسلم –.

وقد تفوق بعض الصحابة الخزرجيين في علوم القرآن والشريعة؛ حتى إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب، فقال: "من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ ابن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني"(٣).

---

(١) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٥٣٥.
(٢) ج ٢، ص ٣١٠.
(٣) حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ج ١، ص ٣٣٢.

وقد عَدَّ الإمام السيوطي من اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة[١]؛ منهم اثنان من الخزرج، أحدهما أبيّ بن كعب، وهو رائد مدرسة التفسير في المدينة وشيخها، الذي يُتَلَقَّى العلم على يديه[٢]، والآخر زيد بن ثابت الخزرجي[٣]، ولقد أضاف إليهم الأدنروي صاحب طبقات المفسرين اثنين؛ هما: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي، وقال عنه: "وعلم الناس الفقه ومعاني القرآن"، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام وقال عنه: "كان كثير الرواية للقرآن ومعانيه وأحكامه"[٤]؛ ولكن ما روي عنهم لا يعد تفسيرًا كاملا للقرءان، وإنما يقتصر على معاني بعض الآيات، بتفسير غامضها، وتوضيح مجملها.

دور الصحابة الخزرجيين في رواية الحديث:

كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في رواية الحديث، قال عنه ابن عبد البر: "وجدت علم حديث رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار"[٥]، وقد عَدَّ أهل الحديث كوكبة من الصحابة الأخيار الذين أكثروا من رواية الحديث الشريف، ولهم في الصحاح والمسانيد أكثر من ألف حديث، عدوهم من المكثرين في الرواية، وأشهر هؤلاء الصحابة سبعة؛ منهم ثلاثة من الخزرج، هم – على الترتيب: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٦].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ج٦، ص ٢٣٢٥.

(٢) أحمد منجي إبراهيم: أبي بن كعب وتفسيره للقرآن الكريم، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٣٤٣.

(٣) السيوطي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٣٣٨.

(٤) أحمد بن محمد الأدنروي، طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ص ٧، ٨.

(٥) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢١٩.

(٦) علي عبد الباسط مزيد: مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ص ٩١.

أنس بن مالك (ت ٩٣هـ)[١]:

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأمه: أم سليم بنت ملحان الأنصارية، وكناه رسول الله ﷺ بأبي حمزة، وقد ورد عن أنس أنه قال: "قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة"[٢]، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرجعًا للصحابة والتابعين في الرواية والفتوى، وقد لخص الحافظ الذهبي مناقبه في صدر ترجمته، فقال: "الإمام، المفتي، المقرئ، المُحَدِّث، راوية الإسلام، أبو حمزة، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وآخر أصحابه موتًا"[٣].

وقد روى أنس عن النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وأمّه أم سُلَيم بنت مِلحان، وخالته أم حرام، وزوجها عبادة بن الصامت، وغيرهم، وقد روى عن أنس خَلْق عظيم، ولقد سرد صاحب تهذيب الكمال[٤] نحو مائتي نفس من الرواة عن أنس بن مالك[٥].

وقد عمَّر أنس طويلًا، حتى قال: "ما بقي أحد صلى القبلتين غيري"، وقد عد الإمام الذهبي أحاديثه فقال: "مسنده: ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثًا، اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين"[٦].

---

(١) أنس بن مالك: اختلف في وقت وفاته، فقيل سنة إحدى وتسعين وهذا قول الواقدي، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل سنة ثلاثة وتسعين، قاله خليفة بن خياط وغيره، وقال خليفة: "مات أنس بن مالك سنة ثلاثة وتسعين وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين"، وقيل: كانت سنه إذ مات مائة سنة وعشر سنين؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٧٤؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ): معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج ١، ص ٤٠٦.

(٢) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣، ٧٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٤) الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٧٤٢ هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، موسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٣٦٥.

(٥) علي عبد الباسط مزيد: مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري، ص ١٢٨.

(٦) الذهبي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢٥.

جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ):

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو عبد الله، الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان مفتي المدينة في زمانه، وآخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا[١]، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم فيها[٢]، وكان من المكثرين الحفاظ للسنن.

روى علمًا كثيرًا عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، والزُّبير، وطائفة من الصحابة، وقد بلغ مسنده "ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا، اتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثًا، ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثًا"[٣].

بو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ)[٤]:

هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، من بني خُدرة، وأمه أنيسة بنت أبي حارثة من بني عدي بن النجار[٥]، قد قال عنه الإمام الذهبي: "هو الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، وأحد فقهائها المجتهدين"[٦]، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة[٧].

ولقد حَدَّث عن النبي ﷺ فأكثر، وأطاب، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة، وروى عنه علمًا جمًّا؛ كما روى عن أبي بكر، وعمر، وطائفة، وقد روى حنظلة بن

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٩٠.
(٢) الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٠٤.
(٣) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٤؛ الزركلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٤.
(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٤١١؛ الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٨٦؛ الزركلي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٧.
(٥) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١١.
(٦) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٨.
(٧) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦١.

أبي سفيان[١]، عن أشياخه: "أنه لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من أبي سعيد الخدري"، أما مسنده فبلغ: "ألفًا ومائة وسبعين حديثًا؛ له في البخاري ومسلم ثلاثة وأربعون حديثًا، وانفرد البخاري بستة عشر حديثًا، ومسلم باثنين وخمسين"[٢].

كما كان هناك صحابة آخرون كان لهم دور في رواية الحديث، أولهم أبو الدرداء ولقد روى "مائة وتسعة وسبعين حديثًا، واتفق له الشيخان على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثمانية"[٣]؛ كما كان لأبي بن كعب في الكتب الستة نيف وستون حديثًا، وله عند بقي بن مخلد[٤] مائة وأربعة وستون حديثًا، منها في البخاري ومسلم ثلاثة أحاديث، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة[٥].

ولعبادة بن الصَّامت في مسند بقي مائة وواحد وثمانون حديثًا، وله في البخاري ومسلم ستة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديثين[٦]، ولرفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان الزرقي في كتب الحديث أربع وعشرون حديثًا[٧]، ولأبي طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود نيف وعشرون حديثًا، منها في الصحيحين حديثان، وتفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديث[٨].

أما شدَّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام؛ فقد خرجوا له في الكتب الستة، وبلغ عدد أحاديثه في مسند بقي خمسين حديثًا بالمكرر[٩]، ولأبي حميد الساعدي الأنصاري في

(١) حنظلة بن أبي سفيان: هو حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية بن خلف الجُمَحِي، المكي، الحافظ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: ثِقة ثِقة؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص٣٣٦.

(٢) نفسه، ج ٣، ص ١٧٠، ١٧٢.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٤) بَقِي بن مخلد بن يزيد: الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي، القرطبي، الحافظ، صاحب التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما، وقد توفي سنة (٢٧٦هـ)؛ السيوطي: طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣٠.

(٥) الذهبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٢.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ١١.

(٧) الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٩.

(٨) الذهبي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤.

(٩) نفسه، ج ٢، ص ٤٦٧.

مسند بقي ستة وعشرون حديثًا[١]، ولكعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري أحاديث، تبلغ الثلاثين، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[٢].

ولأبي أسيد السَّاعدي مالك بن ربيعة في مسند بقي ثمانية وعشرون حديثًا[٣]، وللبراء ابن عازب بن الحارث الأنصاري الحارثي ثلاثمائة وخمسة أحاديث، له منها في الصحيحين اثنان وعشرون حديثًا، وانفرد له البخاري بخمسة عشر حديثًا، ومسلم بستة[٤]، وللنعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري في مسند بقي مائة وأربعة عشر حديثًا، اتفق له البخاري ومسلم على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة[٥].

وكان لبعض نساء الخزرج دور في رواية الحديث، منهن أم سليم الغُمَيْصَاء بنت ملحان الأنصارية، التي لها "أربعة عشر حديثًا، اتفق البخاري ومسلم لها على حديث، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين"[٦]، ومنهن - أيضًا - عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، وكانت في حجر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال عنها ابن حِبَّان: "كانت من أعلم الناس بحديث عائشة"[٧]، وقال ابن سعد: "كانت عالمة"[٨]، وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أن يكتب له أحاديث عمرة؛ كما شهد لها الزهري

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٨١.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٥٣٩.

(٤) نفسه، ج ٣، ص ١٩٦.

(٥) نفسه، ج ٣، ص ٤١١.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ٣١١.

(٧) محمد بن حبان أبو حاتم البُستي (ت ٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ج١١، ص ٣١١.

(٨) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١٠، ص ٤٤٥.

بقوله: "فأتيتها - أي عمرة - فوجدتها بحرًا لا ينزف"[١]، ولها في الكتب الستة اثنان وسبعون حديثًا، ترويها عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٢].

دور الصحابة الخزرجيين في الفتوى:

كان سماح الرسول ﷺ لصحابته بالفتوى، هي النواة الأولى لنشأة الفقه الإسلامي[٣] في عهده ﷺ، وقد كان نزول القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين عامًا هو المصدر الأول لإثراء التشريع الإسلامي وتجديده دومًا، وكانت السُّنة رديفًا للقرآن في إرساء قواعد الشريعة، وشارحة له، ومكملة لما يرد فيه من أحكام.

وهكذا تكون الفقه الإسلامي جنينًا، فكان تشريعًا، نصوصه الرئيسة الكتاب الذي لا تزيد فيه آيات الأحكام على مائتي آية[٤]، والسُّنة النبوية المتمثلة فيما ورد عن الرسول ﷺ قولًا وفعلًا وتقريرًا.

وكان من نتيجة قرب الصحابة الخزرجيين من الرسول ﷺ وكثرة من حفظ منهم الحديث الشريف أن برع الكثيرون منهم في الفتوى، خاصة وأن سفيان الثوري وابن عيينة وعبد الله بن سنان، وهم من فقهاء المسلمين يقولون: "لو كان أحدنا قاضيًا لضربنا

---

(١) الحافظ جمال الدين المزي: تهذيب الكمال، ج٣٥، ص ٢٤١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) الفقه في الاصطلاح: كان الفقه في الصدر الأول يطلق على أحكام الدين كله، وذلك قبل أن تتمايز العلوم، حتى إذا وجدت ظاهرة الاختصاص أصبح الفقه "اصطلاحًا علميًّا يطلق على الأحكام الشرعية العملية المتعلقة بالعبادات والمعاملات الخاصة دون العقائد والوجدانيات"، ثم صار فيما بعد عند إطلاقه يراد به معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وعرفه أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه "معرفة النفس ما لها وما عليها"؛ المعرفة: (هي إدراك الجزئيات عن دليل)، وعرف الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الفقه بالتعريف المشهور بعده عند العلماء بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية". وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٥.

(٤) عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، دار النفائس، عمان، الأردن، ط٣، ١٤١٣هـ = ١٩٩١م، ص ١١؛ محمد عبد اللطيف صالح: تاريخ الفقه الإسلامي، دار ابن كثير، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ص ٢٠.

بالجريد فقيهًا لا يتعلم الحديث، ومُحَدِّثا لا يتعلم الفقه"[١]، ومن هنا فقد كانت معايشة الخزرج لرسول الله ﷺ وروايتهم للحديث سببًا لتقدمهم الفقهي.

وأخرج ابن سعد في الطبقات أنه "كان الذين يُفْتُون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة من الأنصار: عمر، وعثمان، وعلي، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت "[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وورد عن عبد الله بن نيار الأسلمي، عن أبيه، قال: "كان عمر يستشير في خلافته إذا حزبه الأمر أهل الشُّورى، ومن الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت"[٣]، وقد أخرج ابن سعد عن شهر بن حوشب: "كان عمر بن الخطاب يقول حين خرج معاذ بن جبل إلى الشام: لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به"، وكان معاذ بن جبل يفتي الناس بالمدينة في حياة النبي ﷺ، وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

وقد كانت كتابات رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل الذي أرسل إلى اليمن معلمًا وأميرًا؛ سببًا في معرفة رأي الفقه الإسلامي في بعض قضايا الميراث، وتحديد زكاة الزروع والثمار[٥]؛ كما كانت رسائل الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان النجاري، الذي استعمله على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة؛ ليفقههم في الدين، ويعلمهم القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وكتب له كتابًا في الفرائض والسنن والصدقات والديات[٦]، وكان من أهمية كتاب ابن حزم هذا أن أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز يلتمسه في

(١) أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، دار الكتب السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، (ب – ت)، ص ٦.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٣٠٢؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ١، ص ١١٣.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج ١، ص ٧٢؛ البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٥١ (حديث رقم: ٦٧٣٤).

(٦) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٤٧٠؛ الكتاني، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٥.

المدينة، فوُجِدَ عند آل عمرو بن حزم، وهو يعتبر أساسًا للفقه الإسلامي في بعض الموضوعات الفقهيه[١].

وقد ورث البراعة في الفقه بعض التابعين من أبناء الصحابة الخزرجيين وأحفادهم، كان أولهم: خارجة بن زيد بن ثابت (ت ٩٩هـ) الفقيه، المدني، التابعي، الثقة، الإمام ابن الإمام، وأحد الفقهاء السَّبعة الأعلام، وجده لأمه هو: سعد بن الرَّبيع الأنصاري، الخزرجي، نقيب بني الحارث، وقيل عنه: كان الفقه بعد أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة في خارجة بن زيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب[٢].

وأمَّا الثاني فكان: عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، الإمام، الحافظ، أبو محمد الأنصاري، صاحب المغازي، وشيخ ابن إسحاق، حدَّث عن: أنس بن مالك، وعروة بن الزُّبير، وعمرة، وطائفة، قال مالك: "كان رجل صدق، كثير الحديث". وقال ابن سعد: "كان عالما، ثقة، كثير الحديث"، وتوفي سنة (٢٣٥هـ)[٣].

***

(١) حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ج ٢، ص ٥.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٣٧.
(٣) نفسه، ج٥، ص ٣١٤، ٣١٥.

دور الخزرج في تقدم وتطور الشعر العربي

كان عصر البعثة النبوية حافلًا بالشعر، فياضًا به؛ فالخصومة بين رسول الله ﷺ وأصحابه من ناحية، وبين قريش والعرب من ناحية أخرى كانت عنيفة حادة، لم تقتصر على السيف والسنان؛ بل امتدت إلى الشعر والبيان، وإلى المناظرات والجدل، وإلى المناقضات بين شعراء المدينة وشعراء مكة، الذين خاصموا الإسلام وألبوا عليه العرب.

ولم يكن النبي ﷺ يتحرج من الشعر؛ لأنه سلاح ماضٍ من الأسلحة العربية، لا يستغني عنه صاحب دعوة، وهو كتاب الجاهلية، وديوان أخبارها، ولقد كان من أهمية الشعر أن رسول الله ﷺ قال عنه: "إن من الشِّعر حِكْمَة"(١)، وقال - أيضًا:"إن من الْبَيَانِ لَسِحْرا"(٢)؛ ولذلك فقد أفرد له البخاري بابًا في صحيحه أسماه: "باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه"(٣).

ولقد كانت المدينة ذات باع طويل في تاريخ الشعر العربي قبل الإسلام، حتى قال عنها أبو عبيدة: "اجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر(٤) يثرب"(٥). في حين أن ابن سلام الجمحي عدد شعراء القرى العربية، فقال: "وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحرين، وأشعرهن قرية المدينة، وشعراؤها الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس"(٦).

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ٣٤ (حديث رقم: ٦١٤٥).

(٢) نفسه، ج٧، ص ١٩ (حديث رقم: ٥١٤٦).

(٣) نفسه، ج٨، ص ٣٤.

(٤) **المدر:** الطين اللزج المتماسك، والقطعة منه مدرة، وأهل المدر سكان البيوت المبنية، خلاف البدو سكان الخيام الذين سموا أهل الوبر؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٨، ص ٣٨.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ = ١٩٥٠م، ج ٤، ص ١٣٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٧.

(٦) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، السعودية، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، ج ١، ص ٢١٥.

ومن شعراء يثرب: عمرو بن امرئ القيس، وهو جد عبد الله بن رواحة، وهو شاعر خزرجي جاهلي، وله شعر في القتال الذي وقع بين الأوس والخزرج بسبب حرب (سُمير)، والتي استمرت عشرين عامًا، واشتهرت له فيها قصيدة يخاطب بها مالك بن العجلان، وكان الصلح في تلك الحرب على يد ثابت بن المنذر، والد حسان بن ثابت، وبذلك انتهى النزاع(١).

ويعد مالك بن العجلان - سيد الأنصار في زمانه، وهو قاتل الفِطْيَون - من جملة شعراء يثرب(٢)، ومنهم - أيضًا - عمرو بن الإطنابة، ملك الحجاز ومن شعراء يثرب، وهو من الخزرج، وقد عدَّه حسان بن ثابت أشعر الناس(٣).

وهناك صرمة بن أبي أنس، من بني عديِّ بن النجار، قال ابن إسحاق: "كان رجلًا قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، واجتنب الحائض من النساء، وهَمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها، وقال أنا على دين إبراهيم، فلم يزل بذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فأسلم وحسن إسلامه"، وكان قوالًا بالحق يعظم الله في الجاهلية، ويقول أشعارًا في ذلك حسانًا"(٤).

ولما قدم النبي ﷺ إلى المدينة، استطاع أن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار، وأن يصلح بين الأوس والخزرج، وفي هذا الوقت خمدت نيران النزاع في المدينة، ولم يعد الشعراء يجدون موضوعًا آخر ينظمون فيه ويعبرون عن ذواتهم من خلاله؛ كما كانوا يفعلون في الجاهلية، فكان تناول قريش بالهجاء للرسول ﷺ، وتصدي الأنصار للدفاع عنه ﷺ، سببًا في تأجج الصراع الشعري بين المسلمين وقريش، وكان في خلفية هذا الصراع، ذلك التنافس بين مكة والمدينة، الذي كان مستعرًا في الجاهلية، فقال رسول الله

(١) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٧٣.
(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ج ١، ص ٤٥٧.
(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٩، ص ٧٢٠.
(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٤٤٢.

ﷺ: "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟!"، فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال كعب بن مالك: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ لحسان: "كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي"، فقال: والله لأسلنك منهم، فقال له إيت أبا بكر؛ فإنه أعلم بأنساب القوم منك، فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: "إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة"(١).

وقال ابن سيرين: "وانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر، ويذكران مثالبهم، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة"(٢).

حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ) وشعره:

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس، أبو الوليد - ويقال: أبو الحسام(٣) - الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، ابن الفريعة، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه(٤).

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ٣٦ (حديث رقم: ٦١٥٠)؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٣١٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٥٠، ٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥١٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٦.

(٣) أبو القاسم بن بشر الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، تحقيق: ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ص ١١٢.

(٤) الذهبي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٢.

وقد قال رسول الله ﷺ عن حسان: "إن الله ليؤيده بروح القدس ما نافح عن نبيه"(١)، وقال له أيضًا: "اهجُ قريشا؛ فإنه أشد عليها من رشق النبل"(٢). وقال أبو عبيدة: "فضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام"(٣)، وبعد أن عدد ابن سلام شعراء المدينة قال: "وأشعرهم حسان بن ثابت، وهو كثير الشعر جيده"(٤)، وقال الأصمعي: "حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء"(٥)، وقال الحطيئة: "أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب"(٦).

ومما يدل على قوة تأثير الشعر وأهميته في تلك الفترة، ما ذكر من أن حسان بن ثابت رمى عبد الله بن الزَّبَعري الشاعر القرشي وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه، فقدم المدينة فأسلم، وكان من أشعر قريش(٧)، وكان الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّيِّ، أحد زعماء العرب، جاء النبي ﷺ، فقال: "ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار"، فأرسل معه رجلًا من الأنصار، فغدرت به عشيرته فقتلوا الأنصاري، فقدم على رسول الله ﷺ يعتذر، فقال رسول الله: ادعوا لي حسانًا، فدعي له، فلما رأى الرجل، أنشد

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٤، ص ٣٢٣؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٨، ص ٣٦ (حديث رقم: ٦١٥٢)؛ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٤، ص ٦؛ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٦؛ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٨٤٦؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٥٠، ٥١؛ أبو إسحاق الحصري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٢١٥.

(٥) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٧.

(٦) نفسه.

(٧) تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١٣، ص ٣٨٧.

أنشد أبياتًا جعلته يقول: "يا محمد، أجِرْنِي من شعر حسان، فوالله لو مُزِج به ماء البحر لمزجه"، وأدى إليه سبعين ناقة عُشَرَاء دية الخفارة[١].

ولما ذهب كعب بن الأشرف يحرض كفار مكة بعد انتصار المسلمين في بدر، نزل على المطَّلب بن أبي وداعة السَّهمي، وعنده عاتكة بنت أبي القيس بن أمية، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ والمسلمين، فهجا حسان بن ثابت المطلب وامرأته عاتكة، فطردته من منزلها، فرجع إلى المدينة[٢].

وعندما أسرت هذيل بعض المسلمين وباعتهم من قريش، هجاهم حسان هجاء مُرًّا، وصفهم فيه باللؤم، واللؤم عند العرب من أقبح المعيبات، فقد قال فيهم:

لَـوْ خُلِـقَ اللَّـؤْمُ إنْـسَانًا يُكلِّمُهـمْ ... لَكَـان خَيْـرَ هُذَيْـلٍ حِـينَ تَأْتِيهَـا

تَبْكِـي الْقُبُـورُ إذَا مـا مَـاتَ ميِّـتُهُمْ ... حَتَّى يَصيحَ بِمَنْ في الأَرْضِ دَاعِيها[٣]

كان للشعر العربي أثر كبير في صياغة فكر القوم، وتكوين فلسفتهم؛ إذ إنه مستودع علمهم، وسجل حكمتهم، ومصدر معرفتهم، وإننا حين نطالع شعر حسان نجد صفحة تاريخية جليلة، ونطلع على ابتكار فن جديد؛ ألا وهو فن الشعر السياسي، الذي يراد به نصرة الدولة الإسلامية الناشئة ونصرة رسولها[٤]، وقد كانت هذه المنافرات التي قادها حسان بمثابة جهاد عنيف، كانت الرغبة منه الدفاع عن الإسلام ورسوله ﷺ.

ولحسان في المدح والهجاء قصائد كثيرة، مختلفة الأسلوب، فله في مدح النبي ﷺ أسلوب غير الأسلوب الذي عهدناه في الجاهلية؛ فهو لا يُشَبِّه النبي ﷺ كمن يريد

(١) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٢١٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٥٥.

(٢) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤١٣.

(٣) حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، جمع وشرح: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٢٥٣.

(٤) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٢٧٦.

الاستجداء والتكسب من ممدوحه؛ بل يعنى بوصف شمائله الغُرّ، ويلح في ذكر الرسالة والتصديق بها، وذكر ما حمل الإسلام من نور وهداية، ويُعَرِّض بمن أنكر النبوة وكذب بها؛ فهذا مدح جديد في نوعه وطريقته، جديد في تعابيره وألفاظه، يعبر عن فطرة سليمة صقلها الدين وجلاها الإيمان، حتى إننا نجد ألفاظًا إسلامية جديدة لم نألفها من قبل، كقوله في أشعاره: جبريل أمين الله، وروح القدس، وأرسلت عبدًا، وشهدت به، ورسول الله[١].

وليست ميزة حسان في شعره مقصورة على خصائصه في المدح والهجاء، بل له خاصية ذات منزلة عالية، وهي خاصية المؤرخ الأمين لحوادث عصره، فإنَّه يحدثنا عن غزوات النبي ﷺ وأيامها، ويذكر لنا أسماء من قتل من الصحابة ومن قتل من المسلمين، ويرثي من قُتِل من الخلفاء الراشدين، فكأنك وأنت تقرأ شعره، تطالع نبذة من تاريخ الصدر الأول للإسلام[٢].

وقد مدح رسول الله ﷺ شعر حسان فقال: "أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسّان بن ثابت فشفى واشتفى"[٣].

كعب بن مالك (ت ٥٠هـ) وشعره:

هو كعب بن مالك بن أبي كعب، عمرو بن القَين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة الأنصاري، الخزرجي، العقبي، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خُلِّفُوا، فتاب الله عليهم، شهد العقبة الثانية، واختلف في شهوده بدرًا، وشهد أُحدًا

(١) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٢٧٨.

(٢) عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م، ص ١٨٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٤، ص ١٤٣؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٨٤٦؛ تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١٠، ص ٤١.

والمشاهد كلها ما عدا تبوك[١]، وقيل: إن كنيته في الجاهلية كانت أبا بشير، فكناه النبي ﷺ أبا عبد الله[٢].

ولقد أخرج له أصحاب السنن عدَّة أحاديث في الكتب الستة، بلغت ثمانين حديثا[٣]، اتفق له البخاري ومسلم على ثلاثه منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[٤].

وقد اشتهر بيت كعب بالشعر[٥]؛ كما اشتهر بالعلم والحديث، فقد روى الحاكم أن عبيد الله بن كعب بن مالك كان من أعلم قومه[٦]، وأن عبد الله بن كعب بن مالك كان من أعلم الأنصار، وعبد الرحمن بن كعب بن مالك كان ثقة، وهو أكثر حديثًا من أخيه[٧]، وأن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عُدَّ من فقهاء المدينة البارزين، وقيل إنه من أعلم قومه وأوعاهم[٨].

وقدَّرَ رسول الله ﷺ لكعب إيمانه وأمانته، فولاه في السنة التاسعة للهجرة صدقات أسلم وغِفَار[٩]، وكان كعب يُتقن الكتابة، ويعرف الحساب، فأرسله النبي ﷺ ليُعَلِّم حدود حرم المدينة[١٠].

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٤، ص ٣٩٤؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٥٤١؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨١؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٤) ابن حزم: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، (ب - ت)، ج ١، ص ٢٧٨.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٥، ص ٢٦؛ ابن حزم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٤.

(٦) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٤١.

(٧) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٧، ص ٢٦٩.

(٨) شمس الدين السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الثقافة، القاهرة، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٠م، ج٢، ص ٥٠٥.

(٩) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٧.

(١٠) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٢٠٢.

وقد حارب كعب أعداء الله بلسانه، وذب عن الرسول ﷺ بشعره، وجاهد بسيفه، حتى شهد له رسول الله ﷺ فقال له: "أنت تحسن صفة الحرب"(١). وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه أنه قال: "يا رسول الله ! قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل"، فرد رسول الله قائلًا: "إن المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه"(٢).

ولقد تولى كعب في عهد عثمان بن عفان صدقات مزينة(٣)، وعندما اشتعلت الفتنة الكبرى وقف كعب مساندًا لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومؤيدًا له حتى استشهاده.

ولكعب بن مالك أصل عريق في الشعر، فقد ذكر ابن سيرين أن كعبًا قال بيتين كانا سببًا في إسلام قبيلة دوس، وهما:

قضينا من تهامة كل وترٍ ... وخيبرَ ثُمَ أغمدنا السيوفا

تخبرنا ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوسًا أو ثقيفا(٤)

فلما بلغ دوسًا ما قال كعب قالوا: انطلقوا فخذوا لأنفسكم، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف(٥).

ويستغرق الفخر من شعر كعب أكثره، وقد تطور هذا الفن على يديه، ولم ينس كعب قومه، وذكر مآثرهم، ولكن لم يكن فخره بهم على الأساس القبلي، وإنما راح يفخر بهم باعتبارهم أنصار الإسلام، وحملة دعوته الأوائل(٦)، وقد روت كثير من كتب الأدب قول كعب:

---

(١) أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ج ١، ص ٣٧؛ أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري: جمع الوسائل في شرح الشمائل، المطبعة الشرفية، مصر، (بدون تاريخ)، ج ٢، ص ٤٢.

(٢) الحافظ جمال الدين المزي: تهذيب الكمال، ج٢٤، ص ١٩٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٢٥، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٩، ص ٤٦٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٨٢.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ١٨٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٣٠٩.

(٥) نفسه، ج ٢، ص ١٨٣؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٠٩.

(٦) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٨٣.

وإِنْ قَـصُرَتْ أَسـيافُنا كـانَ وَصْـلُها خُطَانَـا إِلى القَـوْم الَّـذِين نُـضارِبُ[١]

جعله بعضهم أكرم بيت وصف به رجل قومه في حرب[٢]، وعده بعضهم أمدح بيت قالته العرب في الشجاعة[٣]، وقيل عنه: أشجع بيت قالته العرب، وعده ابن قتيبة من الأبيات التي لا مثيل لها[٤].

وقد ثبت أن رسول ﷺ كان يثقف[٥] له بعض شعره، ويرشده إلى المعاني الإسلامية، وكان كعب يفتخر بهذا ويقول: "ما أعان رسول الله ﷺ أحدًا في شعره غيري"[٦]، ويروى أن النبي ﷺ خرج على كعب وهو في مسجد الرسول فلما رآه قال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد بيتًا: "مُقاتلُنا عن جذْمِنا[٧] كُلَّ فَخْمةٍ"، فقال رسول الله ﷺ: لا تقل عن جذمنا، ولكن قل: مقاتلنا عن ديننا[٨].

وقد برع كعب في الهجاء، الذي تميز بعفة ألفاظه، وبُعد معانيه عن الفحش والفجور، وخاصة عندما هجا قريشًا قَائلًا:

جَـاءَتْ سَـخِينَةُ[٩] كَـيْ تُغَالِـبَ رَبَّهَـا فَلَيُغْـلَبَنّ مُغَـالِبُ الْغَـلاّبِ[١٠]

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٥، ص ١٧٢.

(٢) أبو علي إسماعيل بن القاسم: ذيل الأمالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٠.

(٣) أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ج ٢، ص ١٦٤.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٩٣.

(٥) **يثقف:** ثقفت الشَّيء أثقَفُه ثَقْفًا، إذا حَذَقْتَه وأحكمتَه، وكل شيءٍ قوَّمتَه فقد ثقَّفته، أي: قوْمه وعدّله؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٣٠١.

(٦) أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي: الشهير بالمبرد، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٢.

(٧) **جذْمُ القَوم:** أصلهم؛ الخليل بن أحمد: العين، ج٦، ص ٩٦.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٥، ص ٢٨؛ سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٤٢.

(٩) **سخينة:** يقصد قريش، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السُّخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالبًا من أهل البوادي، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب، ولو كرهته لما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله ﷺ منهم، ولتركه أدبًا مع رسول الله ﷺ؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣٥، ص ١٧٦.

(١٠) ابن هشام: سيرة النبي، ج ٢، ص ١٤٥؛ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٥، ص ٢٦.

فقال له رسول الله ﷺ: "لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا"[١].

ولقد برع كعب في فن الرثاء – أيضًا – فقد رثى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأربعة وسبعين بيتًا، وحمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبعة وخمسين بيتًا، وعبيدة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخمسة أبيات، وقد ترددت أسماء بعض الصحابة في ثنايا قصائده، رثاهم ببيت أو بيتين[٢]. وقد ورد عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تقول: "الشعر منه حسن ومنه قبيح، ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارًا، منها القصيدة فيها أربعون بيتًا"[٣].

وقد وجد الجغرافيون في شعره موردًا لا ينضب لما تحدثوا عنه من الأمكنة والبلدان؛ فالبكري استشهد به في مواضع كثيرة من كتابه (معجم ما استعجم)، واستشهد به ياقوت في (معجم البلدان)، وكذلك السمهودي في (وفاء الوفا).

أما المؤرخون فقد وجدوا في شعره ما يعينهم على تثبيت الحوادث والأعلام، فقد كان مؤرخًا أمينًا لحوادث عصره[٤]، فقد ذكر له ابن هشام في السيرة[٥] أربعمائة واثنتين وثلاثين بيتًا[٦].

كما أورد له أبو الفرج الأصفهاني في (الأغاني) ثمانية وثلاثين بيتًا، وذكر له أبو الفتح ابن سيد الناس في (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) اثنين وثلاثين بيتًا، ولقد ذكر له ابن كثير في (البداية والنهاية) ثلاثمائة وستة عشر بيتًا، وذكر له محمد بن يحيى ابن أبي بكر المالقي الأندلسي في كتابه (التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان) شعرًا كثيرًا، بلغ اثنين وستين بيتًا، وأورد له ابن سلام في (طبقات فحول الشعراء) ستة عشر

---

(١) نفس المرجعين السابقين.

(٢) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١١٧.

(٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٤) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٤٩.

(٥) ورد هذا العدد من الأبيات في السيرة لابن هشام، طبعة المستشرق وستنفلد بمدينة جوتنجن بألمانيا سنة (١٨٦٢م).

(٦) سامي مكي العاني، المصدر السابق، ص ١٥٤.

بيتًا، وله في (معجم ما استعجم) تسعة أبيات، وفي (معجم البلدان) عشرة أبيات، وذكر له ابن حبيب في (المحبر) أربعة عشر بيتًا[١].

عبد الله بن رواحة (ت ٨هـ) وشعره:

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن مالك الأغرِّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وأمه كَبْشَة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغرِّ الخزرجي[٢].

وكان عبد الله بن رواحة يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وشهد عبد الله بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعًا، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، وشهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر، وعمرة القضية[٣].

وقد شهد لابن رواحة بحسن الشعر وجودته عدد من نقاد الشعر ورواته، فقال عنه ابن سلام في طبقاته: "وعبد الله بن رواحة عظيم القدر في قومه، سيِّد في الجاهلية، ليس في طبقته التي ذكرنا أَسْوَدُ منه"[٤]، وورد عن الآمدي في (المؤتلف والمختلف) : "هو شاعر محسن وفارس"[٥]، وقال عنه ابن عبد البر: "إنه أحد الشعراء المحسنين"[٦].

ولقد كان ابن رواحة شديد الولاء لقومه، فكان يفخر بهم غالبًا، ولا نجده في شعره يفخر بذاته، على الرغم من أنه كان يستطيع أن يفعل ذلك؛ فقد كان سيدًا في قومه، وفارسًا وبطلًا، ولقد كانت عشيرته من ذؤابة الناس وسنامهم، ولكنه آثر أن يتجه إلى

---

(١) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٥٦، ١٦٠.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٣، ص ٤٨٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٣٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٦.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٧.

(٤) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٢٢٣.

(٥) أبو القاسم بن بشر الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، ص ١٦٠.

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٥٣٦.

الفخر بالجماعة، ولعلنا في مقارنة عابرة بينه وبين حسان بن ثابت مثلًا، نجد حسانًا دائم الفخر بنفسه، وكان صوت الذات الفردية عنده طاغيًا متميزًا(١).

ولعبد الله بن رواحة في ديوانه الشعري مائتان وسبعة عشر بيتًا، من هذا الشعر، اثنان وخمسون بيتًا جاهليًّا، ومائة وخمسة وستون بيتًا إسلاميًّا(٢).

ولقد كان شعر ابن رواحة متعدد الأغراض؛ ما بين المدح والرثاء وغيره، فقد رثى حمزة بن عبد المطلب بقصيدة من ستة عشر بيتًا(٣)، وقال مادحًا رسول الله ﷺ:

إنّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخيرَ أعرفُه ... والله يعلَمُ أَنْ ما خَانَني البَصَرُ

أنتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمْ شَفَاعَتَه ... يومَ الحسابِ فقد أَزْرَى به القَدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حُسَنٍ ... تَثْبِيْتَ مُوسى ونصرًا كالذي نُصِرُوا

فقال له رسول الله ﷺ: "وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة"(٤).

كما كان هناك شعراء آخرون، منهم: النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، الأمير، العالم، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، ابن أخت عبد الله بن رواحة، له في المسند: "مائة وأربعة عشر حديثًا، اتفق له الشيخان على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة"(٥).

كما كان من كبار الشعراء، ومن عائلة كانت كلها شعراء؛ فلقد كان جده شاعرًا، وكان أبوه شاعرًا، وكان عمه شاعرًا، وكذلك كان أولاده وأحفاده شعراء(٦).

***

(١) وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٧٤.

(٢) نفسه، ص ١١١.

(٣) نفسه، ص ١٠٠.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٥٣٨.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤١١.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٤، ص ١٢٠.

٢- الصحابة الخزرجيون في الأقاليم المفتوحة

كان بدء خروج صحابة الخزرج إلى الأقاليم المفتوحة من عهد رسول الله ﷺ؛ فقد ولى زياد بن لبيد البياضي الخزرجي حضرموت ثم ضم إليه كِنْدَة[١]، واستعمل عمرو بن حزم الخزرجي النجاري على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة؛ ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر للهجرة بعد أن أسلموا[٢]، وولى معاذ بن جبل الخزرجي على الجُنْد[٣]، وصير إليه القضاء، وقبض جميع الصدقات باليمن[٤].

وفي عهد عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان واليه على الشام قائلًا: "إن أهل الشام قد كثروا وملأوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم أمور دينهم، فأعنِّي برجال يعلمونهم"، فأخرج عمر: معاذ بن جبل إلى فلسطين، وعبادة بن الصامت إلى حمص، وأبو الدرداء إلى دمشق[٥]، وبعد أن استقر أبو الدرداء بدمشق، ولاه معاوية قضاءها بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها[٦].

وقد تتابع الخزرجيون على قضاء دمشق؛ فقد تولاه النعمان بن بشير (ت ٦٤هـ)، وكان قد شهد "صفين" مع معاوية، ثم ولاه القضاء بدمشق (سنة ٥٣ هـ)، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر، ثم عزله وولاه حمص، واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فلما

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٩.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٩١؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥م، ج٨، ص ٨١؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٢٩٣.

(٣) **الجُنْد:** من أعمال اليمن، وفيها ثلاثة وثلاثون منبرًا قديمة، وبها مسجد بناه معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٩.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٩؛ البيهقي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٦.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٣٠٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٦) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٤٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٩٨.

مات يزيد صار زبيريًّا، فخالفه أهل حمص فأخرجوه منها واتبعوه فقتلوه[١]، ثم تولى بلال ابن عويمر أبي الدرداء (ت ٩٣هـ) إمارة دمشق، ثم تولى قضاءها في زمن يزيد وبعده، حتى عزله عبد الملك بن مروان[٢].

كما كان هناك الكثير من الصحابة الخزرجيين الذين دخلوا مصر أثناء الفتح الإسلامي لها، منهم: عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي، وكان من سادات الصحابة، وأول من تولى قضاء فلسطين[٣]، شهد فتح مصر، ولأهلها عنه نحو عشرة أحاديث[٤]، كما شهد أبو أيوب الأنصاري فتح مصر[٥]، وشهد أبو الدرداء فتحها - أيضًا - ولأهلها عنه خمسة أحاديث[٦].

ولقد تفرقت الدَّوْحَة الخزرجية في البلاد، وأصبح لها فروع في بعض الأمصار الإسلامية؛ فقد رصد لهم القلقشندي في (صبح الأعشى) قائلًا: "ولهم بقايا كثيرة متفرقة بالمشرق والمغرب، وإن منهم جماعة بمنفلوط من صعيد مصر من عقب حسان بن ثابت"[٧]، ولزيد بن سهل - أبو طلحة الأنصاري النجاري - البدري العقبي، عقب كثير بالبصرة[٨]؛ أما أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فله عقب كثير في البصرة، خاصة وأن أنس لم يمت حتى مشى أمامه مائة رجل من ولده، يرجعون بنسبهم إليه[٩]، ولجابر

(١) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م، ج ٣، ص ٤٠٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٢٩٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص ٣٦.

(٢) ابن حبان، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٤؛ الحافظ جمال الدين المزي: تهذيب الكمال، ج ٤، ص ٢٨٥، ٢٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤١٢.

(٣) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٦.

(٤) السيوطي، در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق: حمزة النشرتي، وآخرون، (د - ت)، ص ٦٥.

(٥) نفسه، ص ١٢١.

(٦) نفسه، ص ١٢٣.

(٧) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٧٢.

(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٩) نفسه، ج ٢، ص ٣٥١.

ابن عبد الله بن حرام المُحَدِّث الشهير، عقب في جهة ولاية إفريقية[١]، أما النعمان بن بشير فله عقب كثير بالأندلس، بقرية من أعمال إشبيلية[٢]، ولسعد بن عبادة عقب بالأندلس، من ولده سعيد بن سعد، بقرية من أعمال سَرَقسطة[٣].

أما ولد قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي فقد استطاعوا تكوين دولة بالأندلس[٤]، عندما تمكن محمد بن يوسف بن محمد (ت ٦٧١هـ)، من آل نصر بن الأحمر الخزرجي الأنصاري، من إنشاء دولة بني الأحمر (٦٢٩هـ - ٨٩٧هـ) [٥]، وتعرف بالدولة النصرية[٦].

وهكذا يتضح لنا أنه كانت لقبيلة الخزرج أهمية كبرى في تقدم الحياة العلمية بالمدينة وتطورها، وخاصة في علم القراءات والفتوى والتفسير والحديث؛ كما أن للخزرج دورًا يسجل في التاريخ بمداد من ذهب في جمع القرآن في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونسخ القرآن في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كما كان هناك الكثيرون من الخزرج، كانوا من كبار المصنفين في التراث الإسلامي على مدار تاريخه، كان أهمهم ابن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ)، الطبيب المشهور، وله مؤلف واحد لم يسبق إليه هو "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" [٧]، والإمام شمس الدين القرطبي، الخزرجي، الأندلسي (ت ٦٧١هـ)، صاحب تفسير "الجامع لأحكام القرآن"[٨].

---

(١)ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٩.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٣) **سَرَقُسطة:** بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة، وهي بلدة مشهورة بالأندلس، ذات فواكه عذبة، مبنية على نهر كبير؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٣؛ ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٤) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٧، ص ٤٤٠.

(٥) أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة، ولهم فيها سلف في أبناء الجند، ويعرفون ببني نصر، وينسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، ص ٢١٨.

(٦) ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢١٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص ١٥١.

(٧) ابن أبي أُصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار الحياة، بيروت، (بدون تاريخ)، ص٥.

(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٤١، ص ١٣٣.